آفاق وسياقات
تموز ٢٠٢٦ / عدد خاص «الشبكة اللاهوتيّة المتوسّطيّة» - ص. ١٧-٢٨

البيان
من أجل لاهوتٍ من المتوسّط

مارسيليا – أيلول ٢٠٢٣

تعريب النصّ من اللغة الإيطاليّة: الدكتورة لينا إسكندر حوّاط

أبصر هذا النصّ النور من رحم تجارب لاهوتيّةٍ حيّةٍ تكشّفت على ضفاف البحر الأبيض المتوسّط، ومن مسار بحثٍ ونقاشٍ امتدّ لسنواتٍ عدّة. وها هو اليوم يُسلَّم بصيغة بيانٍ إلى كلّ مَن يهمّه الأمر ويودّ الانخراط، بطريقةٍ أو بأخرى، في المسار الناشئ. وبحسب المعنى الاشتقاقي لكلمة «بيان» (***Manifesto***)، فإنّ نيّتنا هي تقديم نصٍّ للكنائس والمجتمع الأكاديميّ، ولكلّ مَن يرغب في التفاعل مع عملنا، يعلن بعض المكتسبات النظريّة والثوابت التي نعتزم الارتكاز عليها للعمل من أجل «لاهوتٍ من المتوسّط». ولذا، فنحن أمام نصٍّ مفتوح، وديناميّ شأن المسار الذي نأمل أن يتبلور إثر تقديم هذا البيان. ولهذا السبب، يُجسّد هذا البيان كذلك التزامنا بمسؤوليّتنا، كلاهوتيّين ولاهوتيّات، من أجل لاهوتٍ قادرٍ على الإسهام في نسج شبكاتٍ بين كنائس البحر الأبيض المتوسّط، وفي إرساء السلام في حوض البحر الأبيض المتوسّط.

أوّلًا: البحر الأبيض المتوسّط يسائلنا

وُلدت هذه الوثيقة من الإصغاء. فما الذي نسمعه، ونراه، ونلمسه، ونختبره حين نصغي بعمقٍ إلى البحر الأبيض المتوسّط؟

لا يسعنا أن نكتفي بإصغاءٍ سطحيّ. فاللاهوت، المتسامي نحو أعالي السماء وإلى أغوار الأرض في آنٍ معًا، يدفعنا نحو عمق البحر الأبيض المتوسّط، ويُلزمنا بعبور مدنه، ومرافئه، وأماكن العبادة فيه، وأحيائه القديمة، وبوّاباته... هناك حيث يحدث التخالط البشريّ والثقافيّ: ثمرةً للقاءاتٍ وصراعات، لحواراتٍ وتسويات، لترحيبٍ ورفض.

إزاء التناقضات، والأزمات الاجتماعيّة الطارئة، والتحدّيات الكثيرة المطروحة، لا سيّما أمام المؤمنين، لا يسعنا البقاء في حالة جمودٍ وصمت. فمَن يصنع اللاهوت يدرك مسؤوليّته في التعبير عن هذا كلّه بكلماتٍ تنبع من نظرة إيمان. وإذ نعلم أنّ «تعليم اللاهوت ودراسته يعنيان العيش على الحدود»[1]، فنحن مدعوّون إلى تقديم سرديّةٍ مختلفة لبحر الأبيض المتوسّط، لقصصه ووجوهه، لنشارك مَن نلتقيهم قراءةً مستنيرةً بالحكمة، تستلهم روحانيّة الرجاء، وتتضامن مع كافّة ضحايا التاريخ، وفق أسلوبٍ إنجيليّ للحوار، علائقيٍّ ونبويّ.

إنّ آلاف الشواطئ والكثير من الشعوب، بالإضافة إلى القارّات الثلاث (أفريقيا، وآسيا، وأوروبا) والضفاف الخمس (شمال أفريقيا، والشرق الأوسط، والبحر الأسود وبحر إيجة، والبلقان، وأوروبا اللاتينيّة) المطلّة على المتوسّط، والموسومة بعمقٍ بالتجربة الثقافيّة والاجتماعيّة للضفاف – أي بما يرسمه البحر من حياةٍ وعاداتٍ وخيارات، وبما يشهده من تبادلاتٍ واختلاطاتٍ على مفترقات الطرق وفي الساحات – قد شكّلت جميعها، على مرّ القرون، فضاءاتٍ مؤاتيةً لتجلّي معنى الإنسانيّ والإلهيّ.

لقد كان حوض البحر الأبيض المتوسّط مهدًا للتاريخ، والأديان، والهجرات، والتبادلات الاقتصاديّة والثقافيّة، ومسارات السلام والتقدّم. غير أنّ صورة «الغرق» تبدو اليوم، لربّما، التعبير الأصدق عنه، إذ غدا في الواقع قبرًا لكثيرين: مكانًا للظلم واللامساواة، للترحيل والمجازر. مكانٌ نضْحي فيه جميعًا غرقى: لأنّ ما نشهده في البحر الأبيض المتوسّط هو غرق حضارة.

كما كان المتوسّط أيضًا رحمًا أبصر فيه الفكر المؤمن النور، وليس المسيحيّ فحسب. وفي كنفه، ووسط صراعاتٍ واستشهادات، تبلورت تلك النماذج اللاهوتيّة التي ما زالت حتّى اليوم معيارًا تُقاس به لاهوتاتٌ جديدة صيغت حتّى خارج فضائه.

(١) البابا فرنسيس، **رسالة لمناسبة الذكرى المئويّة للجامعة الكاثوليكيّة في الأرجنتين**، ٣ آذار/ مارس ٢٠١٥.

إنّ التزامنا هو من أجل لاهوتٍ يتّخذ من هذا التراث الألفيّ ذُخرًا له، ويُدرك ذاته بوصفه لاهوتًا مِن المتوسّط. ونحن نرغب في استلهام الدرس البليغ الذي منحنا إيّاه البابا فرنسيس في هذه السنوات، ولا سيّما في مؤتمر نابولي عام ٢٠١٩، وخلال لقائه بأساقفة المتوسّط في باري عام ٢٠٢٠، وفي مناسباتٍ أخرى كثيرة. ونريد العمل من أجل لاهوتٍ يستطيع، انطلاقًا من المتوسّط، أن يسهم في إطلاق مساراتٍ للأخوّة والمشاركة والسلام؛ ليس داخل الجماعات المؤمنة فحسب، بل في حوارٍ أيضًا مع كلّ مَن يكرّس جهده لبناء عالمٍ تسوده الأخوّة. ولن يكون ذلك ممكنًا إلّا بالاستعادة المستمرّة للبعد العاطفي، والعلائقي، والمفعم بالمحبّة (الأغابي) الذي يميّز النزعة الإنسانيّة المتوسّطيّة.

ونحن مقتنعون بدورنا أنّه لا يمكن قراءة المتوسّط قراءةً واقعيّةً «إلّا من خلال الحوار، وبوصفه جسرًا – تاريخيًّا وجغرافيًّا وبشريًّا – بين أوروبّا، وأفريقيا، وآسيا. إنّه فضاءٌ أسفر غياب السلام فيه عن اختلالاتٍ متعدّدة، إقليميّة وعالميّة، في حين أنّ إحلال السلام فيه، عبر ممارسة الحوار، من شأنه أن يُسهم إسهامًا كبيرًا في إطلاق مساراتٍ للمصالحة والسلام»[٢].

إنّ صناعة اللاهوت في المتوسّط تعني بالنسبة إلينا اختيار بناء لاهوتٍ غير محايد، يتّخذ من منطق التجسّد وسرّ الفصح ركيزتَيه الأساسيّتين. إنّه لاهوتٌ لا يرى في التاريخ مجرّد حيّزٍ تطبيقيّ، بل المكانَ الذي يُدرَك فيه المعنى الأصيل لإعلان الإنجيل.

ثانيًا: أسلوبٌ في صناعة اللاهوت في البحر الأبيض المتوسّط

١. لاهوتٌ سياقيّ وسرديّ

يحتاج حوض البحر الأبيض المتوسّط إلى لاهوتٍ يتشرّب بُعده السياقيّ حتّى الصميم، ويعتبره دعوةً أصيلةً لا غنى عنها. وتبدو هذه الحاجة اليوم مكوّنًا بنيويًّا، لا يمكن حصره ببساطةٍ في بعض المقترحات «الأصيلة» و«الهامشيّة». فشعوب المتوسّط، التي هيّأت سبل اللقاء المثمر بين تقاليد الإيمان اليهوديّ والمسيحيّ والفكر اليونانيّ–الهلنستيّ، تحمل في طريقتها لفهم الحياة والعالم، تفسيرًا للّاهوت بوصفه «عاطفة إيمان» (*affectus fidei*). إنّ استعادة البُعد «العاطفيّ» في ارتباطه الوثيق بالبُعد «الفكري» – كمحرّكٍ داخليّ لهذا الأخير– من شأنها أن تيسّر قراءةً للأحداث تنبع من داخل السياق ذاته، وليس قراءةً خارجيّة، إن صحّ التعبير.

(٢) البابا فرنسيس، **اللاهوت بعد دستور «فرح الحقيقة» في سياق المتوسّط**، نابولي، ٢١ حزيران/ يونيو ٢٠١٩.

فلاهوتٍ **من** المتوسّط هو، بهذا المعنى، لاهوتٌ «مُنخرِطٌ في الواقع» قابلٌ للتأثّر بالجراح والاضطرابات التي تعبّر عنها السياقات المتوسّطيَّة، وقادرٌ في الوقت ذاته على تبيّنِ **الجديد** (*novum*) الذي يتبدّى فيها. ومن هذه الجراح تحديدًا، ينبثق نور فصح يسوع، ليكون **المعيار الحيّ** الذي نستمرُّ من خلاله في تأويل **حركة التناظر** (*movimento dell'analogia*)؛ تلك الحركة التي أتاحت للكنيسة، على مرّ القرون، أن تقرأ في الواقع والخليقة والتاريخ، صلاتٍ وعلاماتٍ وإحالاتٍ إلى عمل الله الخلاصيّ.

يجب الاعتراف بقيمة السياق بحدّ ذاته، والسياق المتوسطيّ بوجه خاص، لا كقيمةٍ مجرّدةٍ فحسب، بل في ضوء الخلاص الذي حقّقه المسيح تمهيدًا لمجيء الملكوت. وبهذا المعنى، يمكن اعتبار البحر الأبيض المتوسّط «مكانًا لاهوتيًّا» يستدعي اهتمامًا هادئًا بقصص حياة الأفراد والجماعات، وسيَرهم وخبراتهم المعيشة، اهتمامًا بعيدًا عن السطحيّة من أجل صياغة لاهوتٍ أكثر سرديّة.

٢. لاهوت الإصغاء...

إنّ اللاهوت من المتوسط، شأنه شأن أيّ لاهوت، يستمدّ حياته من الإصغاء إلى كلمة الله وإلى حياة البشر. وهو لاهوتٌ لا يصمّ أذنيه عن صرخة الألم ومطالب العدالة المنبعثة عن الكثير من «غرقى التاريخ»: أولئك الذين يتركون أوطانهم، ويُستغلّون في عملهم وتُمتهَن كرامتهم، ويُحرمون حقّ الإقامة في أرضهم ويُجرَّدون من أيّ فرصةٍ لبناء المستقبل. وتتجلّى رسالته في أن يكون صوتًا للنّداء النبويّ الكامن في «صرخة» البشريّة؛ تلك الصرخة التي يتردّد فيها صدى صرخة المسيح على الصليب (راجع مرقس ١٥: ٣٤). نحن ندركُ أنّه لا بدّ لنا من الانطلاق من هذا الإصغاء، الذي بات يحمل اليوم، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، وقع الصمت وبكاء الغارقين والذين لم يجدوا مَن ينقذهم، كما يحمل في طيّاته قصص الاستسلام والانعتاق. ونحن نرغب في القيام بذلك بأسلوب لاهوتٍ متواضع لا يقدّم إجاباتٍ جاهزة، بل يشرّع أبوابه للتساؤلات الملحّة التي يثيرها هذا البحر، وتثيرها الأراضي التي تلامسها أمواجه. إنّ اللاهوتَ **من** المتوسّط – المتجذّرَ ككلّ لاهوتٍ أصيلٍ في **الإصغاء للإيمان** (*auditus fidei*) و**الإصغاء للإنسان** (*auditus hominis*) – يصبو إلى انتهاج شرعة الاستقبال التي لا تخشى التعدديّة، بل تساعدُ على اعتبار الاختلافات الحاضرة في هذا «السياق» (***con-testo***) لا بوصفها عائقًا، بل بمثابة «نسيجٍ من النصوص» (***tessitura di testi***) غيرِ مسبوق، يثمر تجدّدًا في الحياة والفكر. إنّه لاهوتٌ قادرٌ على اعتماد تأويليّةٍ للرحمة ترتقي بمعرفة الآخر – كائنًا مَن كان: يهوديًّا، أو مسيحيًّا،

أو مسلمًا، أو مُغايِرَ المعتقد، أو غيرَ مؤمن – بكلّ ما يحمله من غنىً، لتفتح بذلك مسارات التبادل الأصيل داخل النسيج المتوسّطيّ الشامل، ببعديه الاجتماعيّ والكنسيّ. لقد تحرّر هذا اللاهوت من تقوقعه حول المركزيّة الأوروبيّة، وغدا قادرًا على عبور الثقافات وحريصًا على الاعتراف بالآخر دون توجّسٍ من أيّ «عدوى» محتمَلة. إنّه لاهوتٌ قادرٌ على التعبير عن الضفاف المتنوّعة التي تحيط بالبحر الأبيض المتوسّط: من المشرق الزاخر الذي أشرق منه نور الحكمة الإلهيّة – وهي حكمةٌ لا تزال «بذورها» حيّةً في يوميّات شعوبه ودياناتها –، مرورًا بالغرب الأوروبيّ وإرثه الفكريّ والإنسانيّ الذي نهل بشكلٍ خاصٍّ من المعين اليهوديّ–المسيحيّ؛ وصولًا إلى القارّة الإفريقيّة الغنيّة، لا بثرواتها الطبيعيّة فحسب، بل بصفاتها الإنسانيّة التي لا تُقدَّر بثمن، كالحسّ الدينيّ العميق – كما يتجلّى في إسلام المغرب العربيّ وفي الديانات الإفريقيّة التقليديّة – وروح العائلة، واحترام الحياة، والعيش الجماعيّ، والشعور المرهف بالتضامن[٣].

> «لا يمكننا الادّعاء بأن جميع الشعوب في جميع القارّات، عند تعبيرهم عن إيمانهم المسيحيّ، يجب أن يقلّدوا الطرق التي تبنّتها الشعوب الأوروبيّة في وقتٍ معيّنٍ من تاريخها، لأنّ الإيمان لا يمكن أن يُغلق عليه في حدود مفهوم ثقافةٍ خاصّةٍ والتعبير عنها. من المسلّم به أنّ ثقافةً واحدةً لا تستنفد سرّ فداء المسيح» (فرح الإنجيل، ١١٨).

٣. ... والحوار

يترجم اللاهوت من المتوسّط، في ممارسته العمليّة، مبدأ «الحوار واسع النطاق» («فرح الحقيقة»، المقدّمة، ٤ ب). ولا يمكن، بطبيعة الحال، اعتبار النزعة الحواريّة مجرّد خيارٍ إضافيٍّ ضمن خياراتٍ أخرى عديدة، بل ينبغي تبنّيها بوصفها سمةً تطبع ديناميّة الوحي ذاتها: فالله حوار، والحوار هو مكان حضور الله. وإلى جانب الحوار مع التقاليد الدينيّة الأخرى، لا بدّ من إرساء حوارٍ مع الثقافات ومع مختلف المناهج المعرفيّة التي تسعى للإجابة عن الأسئلة العميقة المتعلّقة بحياة البشر. أمّا الحقائق الإيمانيّة – المتجذّرة في تقليد الكنيسة الحيّ، وفي أشكال تعبير الطوائف المسيحيّة المختلفة (من أرمن، وأرثوذكس، وبروتستانت...)[٤] – فيجب تبنّيها ونقلها للآخرين، مع الحرصِ على إبراز ما تحمله من طاقاتٍ حواريّةٍ عند تفاعلها مع طوائف مسيحيّة وتقاليد دينيّة أخرى. وهذا ما يضع لاهوتيّي منطقة البحر الأبيض المتوسّط ولاهوتيّاتها أمام مسؤوليّة تعزيز التفاعل الحيويّ بين المراكز اللاهوتيّة والثقافيّة، وبناء «شبكة تواصل» («فرح

(٣) راجع: البابا يوحنا بولس الثاني، **الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس: «الكنيسة في إفريقيا»**، ٤٢-٤٣.

(٤) خصوصًا البروتستانت الذين يتزايد عددهم، ولا سيّما مع موجات الهجرة الوافدة من إفريقيا جنوب الصحراء.

الحقيقة»، المقدّمة، ٤ د) تجمع بين الطرق المختلفة في التعبير عن الواقع الكنسيّ والدينيّ، وبين الجهات العديدة الأخرى التي ترعى الثقافة والالتزام الاجتماعيّ.

٤. لاهوتٌ يتجاوز القطيعة مع الممارسة العمليّة

لأنّ اللاهوت من المتوسّط يقبل أن يُساءل من السياق، فإنّه يتوجّه بطبيعته نحو الواقع الحياتيّ الملموس للجماعة المؤمنة. ويرغب الرعاةُ واللاهوتيّون، ومعهم سائرُ شعبِ الله، في تجاوزِ ما وصفهُ البابا فرنسيس مرارًا بـ«الطلاق» بين اللاهوت والعمل الرعويّ. لقد حان الوقت لتخطّي الحواجز القديمة، وتعزيز أشكالٍ جديدةٍ ومثمرة من التآزر. ففي غياب الاهتمام بالخبرات الكنسيّة المعيشة، سيتقلّص اللاهوت ليغدو نشاطًا مخبريًّا، وتجريديًّا، وباردًا، ومجرّدًا من الطابع الشخصيّ، ومتقوقعًا على ذاته، وعاجزًا عن التعاون مع شعب الله بأسره في رسالته التبشيريّة. لذلك، يرى اللاهوت من المتوسّط في الخبرات الكنسيّة المَعيشة المكان المولّد لتفكّره، ويسعى إلى حثّ الجماعات الكنسيّة على مراجعةٍ دائمةٍ لأمانتها إزاء «تأويليّةٍ» موجّهةٍ نحو حوارٍ مثمرٍ بين كلمة الله وتاريخ رجال عصرنا ونسائه. ومن هنا، تأتي الدعوة إلى إرساء مساراتٍ أكاديميّة تثمّن السرديّات النابعة من الممارسات الكنسيّة وتواكب تنشئةً تهدف إلى تجديدها.

٥. لاهوتٌ يثمّن التديّن الشعبيّ

لا يسع لاهوت المتوسّط إلّا أن يثمّن التديّن الشعبيّ بصفته إيمان شعبٍ وتجربةً دينيّةً متجذّرةً في تراثٍ إيمانيّ. ولا يمكن تجاهل الأثر العميق للرموز، والطقوس، والرؤى الكونيّة المنتشرة بين شعوب المتوسّط، بل يجب إعادة قراءتها ضمن أفقٍ تأويليٍّ قوامه الإيمان المشترك. فهذا التديّن يمثّل فضاءً متميّزًا للتلاقح والاستضافة المتبادلة بين أديانٍ وثقافاتٍ مختلفة، ومساحةً تتجلّى فيها تلك «الشفاعة» التي تطبع نمط العلاقات المتوسّطيّة. ولأنّه أبعد من أن يُختزل في مجرّد فلكلور، فهو يستدعي فهمًا متعمّقًا، سواءً في أشكاله التقليديّة أو في ما يظهره من حسٍّ دينيٍّ تجاه الحياة. إنّ الانطلاق مجدّدًا من مركزيّة **إعلان الكرازة** (*Kerygma*) بأسلوب الحوار، يتيح الاعتراف بالبعد التبشيريّ للإيمان الشعبي، والحدّ من انحرافاته المحتملة.

٦. لاهوت الـ«بين»

إنّ لاهوتًا ينطلق من المتوسّط لا يسعه إلّا أن يدرك أنّ هذا المتوسّط هو فضاء الـ«بين». فالتعمّق في الواقع المتوسّطيّ، الذي هو ثمرة علاقاتٍ متشابكةٍ وتثاقفات، يمكن أن يساعد

على إعادة اكتشاف الطبيعة الحواريّة لهويّتنا؛ طبيعة تتحدّد وتُبنى من خلال الوقوف «على عتبة» الآخر، وخلع النعال «عند أرض الآخر المقدّسة (راجع خروج ٣: ٥)» (فرح الإنجيل، ١٦٩).

وإذا كان إدراك الترابط بين الأسرار من مهامّ اللاهوت التقليديّة، ففي عالمٍ «كلّ شيء فيه مترابط» (كن مسبّحًا، ١١٧)، لا بدّ للّاهوتيّة واللاهوتيّ أن يحسنا التبصّر في الإحالات، والعلاقات، والترابطات القائمة في واقع اليوم بين المواضيع والمعارف والمناهج، لا سيّما من خلال الحوار مع العلوم الأخرى. باختصار، إنّ لاهوت «البين» يُمارس عقلانيّةً «مركّبة» «تَعي أنّ المنطق هو أداة تحقّقٍ مفيدةٌ للحقائق الجزئيّة والمحصورة في نطاق البحث، غير أنّ الطبقات العميقة للواقع تستعصي عليه. [...] فهو، بحركته هذه، يربط الإنسانيّ بالحياة، والطبيعة، والكوكب، والكون»[٥]. إنّ لاهوت الـ«بين»، إذًا، هو ممارسةٌ لعقلانيّةٍ منفتحةٍ على سرّ العالم، ولا تنفصل بالتالي عمّا يتخلّل العقل ويتخطّاه: أي المحبّة. وفي هذا السياق، يجب أن يُفهم اللاهوت من المتوسّط بوصفه «علم الحدود» حيث يمسي البحر استعارةً كلاسيكيّةً للـ«إبحار» المنفتح على بحثٍ لا يعرف الاكتفاء، وتغدو «الجسور» و«الطرقات» و«الساحات» في العالم القديم رموزًا للّقاء بين الثقافات المختلفة. أمّا ما يرفضه اللاهوت من المتوسّط، من حيث المبدأ، فهو إضفاء أيّ شرعيّةٍ على بناء «جدرانٍ» أيديولوجيّة أو من أيّ نوعٍ آخر. وهكذا، يغدو الانفتاح على تعدّد التخصّصات وتداخلها أمرًا لا غنى عنه؛ وهو انفتاحٌ يستحثّه السياق المتوسّطيّ الذي يقتضي مساراتٍ تعليميّةً جديدة، وتفعيل كفاءاتٍ تخصّصيّة إضافيّة لطلّاب اليوم المنفتحين على المستقبل.

ثالثًا: إسهام اللاهوت في حياة شعوب المتوسّط

إنّ اللاهوت ليس غايةً في ذاته، ولاهوتٌ من المتوسّط أولى بألّا يكون كذلك. فهو، إذ يتجذّر عميقًا في التجارب الكنسيّة المعيشة، يريد أن يكون خميرةً لروايةٍ عن المتوسّط «يمكن فيها التعرّف على الذات بطريقةٍ بنّاءةٍ وسلميّةٍ وباعثةٍ للرجاء»[٦]. ولهذا، فإنّ الخيار التفضيليّ للصغار والفقراء الذي يُمليه الإنجيل يغدو **خيارًا تفضيليًّا للأقلّيّات**.

(٥) إدغار موران، **مغامرة المنهج**
E. Morin, *L'avventura del "Metodo". Come la vita ha nutrito l'opera*, (a cura di F. Bellusci), Raffaello Cortina Editore, Milano 2023, p. 109-110

(٦) راجع، Francesco, *La teologia dopo "Veritatis gaudium" nel contesto del Mediterraneo*, Napoli 21 giugno 2019

١. من أجل تعزيز العدالة الاجتماعيّة والمواطنة الكاملة

إنّ صناعة اللاهوت في المتوسّط تعني التذكّر أنّ إعلان الإنجيل يمرّ عبر الالتزام بتعزيز العدالة وتجاوز أوجه اللامساواة التي تولّد التهميش، وأنّه يستلزم صَون الفئات الأكثر ضعفًا وهشاشة. لا يمكن صناعة اللاهوت دون استحضار ضرورة إدارةٍ إنسانيّةٍ حقًّا وحكيمة لتدفّقات الهجرة؛ إدارةٍ لا تجعل من الهجرة بيدقًا في رقعة الشطرنج الجيوسياسيّة الدوليّة، بل تُحسن تلقّف ما تثيره من رهانات، سعيًا إلى وعيٍ حقيقيٍّ بتحدّيات زماننا، ورسوخًا لمفهومٍ أرحب للمواطنة. لا يمكن صناعة اللاهوت دون الالتزام بالدفاع عن حقّ «المواطنة **الكاملة**» في مجتمعاتنا، وتخطّي «الاستخدام الإقصائيّ لمصطلح «الأقليّات» الذي يحمل في طيّاته الإحساس بالعزلة والدونيّة»[٧]، و«يمهّد لبذور الفتن والشقاق»[٨]. ويغدو المرء مواطنًا كاملًا حين تتهيّأ له ظروفٌ تتيح له الإسهام الفعليّ في حياة البلد الذي يعيش فيه ويشعر بالانتماء إليه، وحين تُكفل الحقوق ذاتها لكلّ رجلٍ أو امرأة. وهذا الحقّ يجب الاعتراف به للجميع، بصرف النظر عن الثقافة التي ينتمون إليها أو الدين الذي يعتنقونه. والمواطنة الكاملة تنطوي أيضًا على الحقّ في الحرّيّة الدينيّة، وهو حقٌّ كثيرًا ما يُسحق أو يُنكر. والمواطنة الكاملة تعني كذلك المواطنة الفاعلة؛ وهي وحدها القادرة على كسر منطق الاستسلام أو التأقلم، والوقوف سدًّا منيعًا أمام تكاثر منظومات الفساد في الحياة السياسيّة والاقتصاديّة.

٢. من أجل مسارٍ سينودِيّ لكنائس المتوسّط

إنّ صناعة اللاهوت في المتوسّط تعني الإسهام في حبْك شبكةٍ بين كنائس المتوسّط، شبكة تربط بدورها بين شعوب البلدان المطلّة على هذا البحر. اللاهوت من المتوسّط يضع ذاته في خدمة نسيج العلاقات الذي يُبنى بين أساقفة المتوسّط ويتمّ في لقاءات باري وفلورنسا ومرسيليا. لدينا قناعةٌ عميقةٌ بأنّ مواجهة تحدّيات السياقات المتوسّطية لا تكون إلّا معًا، وأنّ الشركة و«تبادل المواهب» بين كنائس الضفاف المختلفة يساعد على استعادة المعنى العميق لماهيّة الكنيسة، وذلك من خلال التجدّد المستمرّ لسرِّها وسط تحوّلات التاريخ ومآسيه. ثمّة أسلوبٌ سينوديٌّ تحرّكه مشاعر أخويّةٍ صادقة، يجب رعايته في العلاقات بين كنائس بلدان المتوسّط وعيشه في الحوار مع الكنائس الشقيقة ومع ممثّلي التقاليد الدينيّة الأخرى. طريق الحوار المسكونيّ، رغم مشقّته، هو

(٧) البابا فرنسيس والشيخ أحمد الطيّب، **الأخوّة الإنسانيّة من أجل السلام العالميّ والعيش المشترك**، أبو ظبي، ٤ شباط/ فبراير ٢٠١٩.

(٨) المرجع نفسه.

الطريق الذي ينبغي طرحه من جديد ودعمه عبر خبرات اللقاء والتحاور والتعاون في الإصغاء المشترك **للروح**. إنّه الإرث الذي نشعر بواجب تلقّيه من شهداء الحوار الكثيرين في المتوسّط.

السينوديّة المسكونيّة الأصيلة يمكن أن تكون علامةً أولى ومهمّةً لمصداقيّة الشهادة المسيحيّة في بلدان المتوسّط، وعلامة رجاءٍ في سياقٍ تمزّقه توتّراتٌ متعدّدة.

٣. من أجل بناء مستقبلٍ من السلام

إنّ صناعة اللاهوت في المتوسّط تعني عدم تجاهل التوتّرات الاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة المختلفة، التي غالبًا ما تكون سببًا للصراع. يدعو أُفق الأخوّة الكونيّة إلى بناء لاهوتٍ حول السلام ومن أجل السلام، لاهوتٍ يبحث بدقّةٍ عن أسس وشروط مساراتٍ ممكنة، قادرةٍ على إعادة نسج الروابط بين الشعوب حيث يسود الموت الآن، وعلى تعزيز خبرات التعايش والصداقة الاجتماعيّة. ثمّة إحساسٌ قويٌّ بالروابط في السياقات المتوسّطية، وهي ثروةٌ يحسُن الاستناد إليها. لكنّ العلاقات لا تنفتح دائمًا على استقبال من هو خارج الدائرة الخاصّة أو الغريب. في بلدان المتوسّط، يتعايش الإحساس بالضيافة والاستقبال مع الميل إلى الانغلاق داخل العائلة أو الجماعة الخاصّة. يمكن للّاهوت أن يساعد على تجنّب خطر النزعة العائليّة الضيّقة، وعلى تشجيع أفعال ومشاعر التضامن المتبادل التي تُظهر، من خلال الارتباط القويّ بالعائلة، الشعور بأنّنا جزءٌ من العائلة الإنسانيّة الواحدة ومن عائلة أبناء الله الواحدة. إنّ الـ«بَيْن» الذي يقترحه المتوسّط، إن أنصتنا إليه حتى النهاية، هو «بَيْنٌ» يجمع بين الاختلافات، ويستوعبها، ويخلق تواصلًا في ما بينها؛ «بَيْنٌ» هو حافزٌ للسلام وترياقٌ ضدّ الحرب.

لا يمكن أن يكون هناك سلامٌ ولا صداقةٌ اجتماعيّةٌ أصيلة إذا تجاهلنا صرخة الأرض والبحر. إنّ تجاوز منطق مصالح الجماعات يستوجب أن نأخذ المسألة البيئيّة على محمل الجدّ. والمتوسّط هو أحد الأماكن التي يظهر فيها بشكلٍ مأساويٍّ اختلال التوازنات البيئيّة مع ما يترتّب عليها من كوارثٍ متكرّرة. ليس هناك أشخاصٌ يموتون في البحر فحسب، بل هناك أيضًا بحرٌ يحتضر. كثيرٌ من الحروب الدائرة مَردّه إلى تداعيات الاختلالات البيئيّة، أو هو، على الأقلّ، يرتكز عليها، ومن ذلك: الجفاف وشحّ المياه، والتصحّر المتزايد، وأوضاع البؤس والجوع، واستخدام الموارد الأساسيّة سلاحًا. من واجب اللاهوت أن يذكّر شعوب المتوسّط بأنّ التنمية المتكاملة المتناغمة مع البيئة هي وحدها المعدّة لصنع مستقبل، كما حدث غالبًا وفي أماكن كثيرة من المتوسّط، وبأنّ الخليقة ليست مرتعًا للنهب، بل بيتٌ مشتركٌ يجب العناية به وتحرير إمكاناته في سبيل الخير.

٤. من أجل تجربة دينيّة «مضيافة»

إنّ صناعة اللاهوت في المتوسّط يمكن أن تكتسب زخمًا جديدًا إذا ما أولت الاهتمام للخبرة الدينيّة، باعتبارها خبرةً مع الله، وبالتالي أرضيّةً للّقاء بين المؤمنين من مختلف التقاليد. فضلًا عن ذلك، تُعدّ هذه الخبرة مرجعًا جوهريًّا لأيّ تأسيسٍ لاهوتيٍّ منطلقٍ من تجلّي الله ومن الخبرة التي تنبثق عنه. وما يحدونا إلى المضيّ في هذا الاتجاه هو سرّ المسيح، الكلمة المتجسّد، وسرّ فصحه من أجل خلاص الكثيرين. إنّ تأمّل الآخر وإيمانه من منظور الخبرة الدينيّة، يسهم في جعل هذه الخبرة «فضاءً مضيافًا»؛ تحظى فيه الخصوصيّات (*Sensibilità*) التي تميّز كلّ تقليدٍ ومذهب بالقبول والاعتراف، بُغية تحقيق إثراءٍ متبادل. ويقتضي ذلك أن نتبنّى الفهمَ الذي يحمله الآخَر لخبرته مع الله ولإيمانه، وأن نوسّع الفضاء المقدّس؛ فنتعلّم كيف نتصوّره ونعيشه لا كمساحةٍ يجب تحصينها، بل كمكانٍ حيويٍّ فاعل، وكحدٍّ متحرّك وقابلٍ للتكيّف، يُزيح تخومه من دون أن يُلغيها، إفساحًا لضيافةٍ واسعة الرحاب. ومن شأن هكذا فهم أن يتيح إمكانية التوصّل إلى مشاطرة المؤمنين الآخرين خبرةَ حضور الله. فنزع السلاح من الأديان يعني «نزع السلاح من قلب الإنسان»[٩]، والمساهمة في نزع السلاح من الثقافات، لكي تصبح الضيافة المتبادلة نموذجًا ثقافيًّا وفكريًّا، ومعيارًا للحياة والعمل الاجتماعي.

نحن ندرك، بوصفنا مؤمنين، أنّ علينا طلب الغفران عن الانغلاقات التي بُرّرَت باسم الإيمان، وعن الصراعات التي تأجّجت بذرائع دينيّة، وعن افتقارنا إلى الشجاعة في إدانة الشرور الناجمة عن الأنظمة الأيديولوجيّة وقوى السلطة. عوضًا عن ذلك، نريد أن نستلهم العبرة من خبرات العديد من الجماعات التي تجدّدت وتابت انطلاقًا من استقبالها للغريب، واستعادت المعنى الحيّ لإيمانها حينما باتت متقبّلةً لإيمان الآخر. ففي صميم هذه التجارب المعيشة، يسعنا حقًّا أن نتبيّن فعل **الروح** الذي يعلن ويجدّد: «هأنذا صانعٌ أمرًا جديدًا. الآن ينبت. أَلا تعرفونه؟» (إش ٤٣: ١٩؛ راجع رؤ ٢١: ٥)؛ وها هنا يكمن «الجديد» (*il novum*) الذي لا يزال المتوسّط يروي حكايته.

***

(٩) البابا فرنسيس، **خطاب في صرح زايد المؤسّس** (أبو ظبي)، ٤ شباط/ فبراير ٢٠١٩.

وعليه، **فإنّنا نلتزم**، بوصفنا لاهوتيّين ولاهوتيّاتٍ من حوض البحر الأبيض المتوسّط، بتنمية كافّة مساحات التلاقي والتبادل والتفكّر؛ بغية إحياء طرحٍ لاهوتيٍّ من شأنه أن يعين المتوسّط على إعادة اكتشاف ذاته كجسرٍ وبحرٍ للتخالط، وعلى بناء كيانه كـ«فلك» سلام، و«بحر أخوّة».

إنّنا **نلتزم** بأن نضع أنفسنا في خدمة لاهوتٍ **من** المتوسّط، بحر التخالط، لكي يغدو هذا اللاهوت مرجعيّةً نقديّةً وعاملًا في تعزيز إنسانيّة الاحتضان والعيش الأخويّ المشترك، وذلك **من أجل** شعوب المتوسّط، و**من أجل** كلّ من لا يزال يولي المتوسّط عنايةً خاصّة.

إنّنا **نلتزم** العمل جنبًا إلى جنبٍ مع الرعاة؛ لكي نتلمّس، نحن اللاهوتيّين، وفي ظلّ علاقةٍ من الدعم المتبادَل، الاعتراف بأدائنا **لخدمة** فهم الإيمان (*Diakonia*)، ولكي يجدوا، هم، المرافقة والتشجيع في تأديتهم لرسالتهم الحسّاسة، المتمثّلة في التمييز والمسؤولية الكنسيّة. وإلى جانب جماعاتنا، نروم استعادة الشجاعة في البشارة والشهادة. وختامًا، نوجّه نداءً إلى كلّ من نذر نفسه للعمل الدقيق في مجالات البحث، والتعليم، والتنشئة، لمواصلة التزامهم بمزيدٍ من الزخم والعزيمة.

فليعد المتوسّط حضنًا للرجاء: حضنًا، ووعدًا لأُخوَّةٍ ممكنة.